لسانه ، وكثرة هجائه ، ونَيْله من الأعراض .

وربّما كان أشهر شعر دِعْبل هو تائيّته الكبرى المشهورة في مدح آل البيت وبكاء مصارِعِهم ، وهي تقع في سبعة وخمسين بيتاً ، غير أن المصادر الشّيعيّة زادت فيها ، على ما يبدو ، جيلاً بعد جيل حتى إنها تبلغ في بعض مصادرهم المتأخّرة مائة وأربعين بيتاً .[١] وهي تبدأ على هذا النّحو :[٢]

مَدَارِسُ آياتٍ خَلَتْ من تِلاوَةٍ ... ومَنْزِلُ وَحْيٍ مُقْفِرُ الْعَرَصَاتِ
هُمُ أَهْلُ مِيراثِ النَّبيِّ إذا اعْتَزَوْا ... وَهُمْ خَيْرُ قادَاتٍ وَخَيْرُ حُماةِ

وسَرعانَ ما تُدْرك دعبلاً طبيعةُ الشّرّ المتأصّلة في نفسه ، فإذا به يهجو الأمّة كلّها فيتّهمها بمعاداة الرّسول وآله وبالنّصْب لهم[٣] ؛ انتقاماً لما وقع على المشركين في معارك بَدْر ، وخَيْبَر ، وحُنَيْن ، وكأنّ أمّة الإسلام كلّها مسئولة عن مَصارع من خَرَج من أئمّة العَلَويّين ! وهو يرمز إلى هؤلاء بالمواضع التي قُبِروا فيها ، ويختتم ذكرهم بسيّد شباب أهل الجنّة : الحسين بن عليّ قتيل كَرْبَلاء ، ويعبّر عن تجنّبه زيارتَهم ؛ خوفاً مما قد يتعرّض له من عقوبة سلاطين الجور :

وما النّاسُ إلا حاسدٌ ومُكَذِّبٌ ... ومُضْطَغِنٌ ذُو إحْنَةٍ وتِراتِ
إذا ذَكَرُوا قَتْلَى بِبَدْرٍ وَخَيْبَرٍ ... وَيَوْمَ حُنَيْنٍ أَسْبَلوا العَبَراتِ
وكَيْفَ يُحِبُّونَ النَّبِيَّ وَأَهْلَهُ ... وَقَدْ تَرَكُوا أَحْشَاءَهُمْ وَغِرَاتِ
لقد لاَيَنُوهُ في المقالِ وأَضْمَرُوا ... قُلُوباً على الأَحْقادِ مُنْطَوِياتِ

---

(١) ديوان دعبل ، ص٧٠-٨٠ ، وما ألحق بها من زيادات في ص٢٢١-٢٤٠ .

(٢) ديوانه ، ص ٧١-٧٣ ، العَرَصات : جمع عَرْصة ، وهي ساحة الدار ، سُمّيت بذلك لاعتراص الصبيان فيها ؛ أي للعبهم ومرحهم فيها ، واعتَزَوْا : انتسبوا ، ومنه : اعتَزى بعَزاء الجاهلية ؛ أي انتسب بنسبها .

(٣) نَصَبَ له : أظهرَ له الشّرّ .